البحث (١)

التفكك الأسري
ودوره في الانحلال الاجتماعي

أ . د / حسن عبد الحميد حسن

عميد الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد (ﷺ) وآله وصحبه ومن اهتدي بهديه وسار على نهجه إلي يوم الدين.

وبعد ....

فلقد حث الإسلام على تكوين الأسرة ودعا الناس إلي العيش في جوها الظليل آمنين مطمأنين فهي الصورة الطبيعية لحياة الإنسان تلبي رغائبه وتفي بحاجاته ومتطلباته والأسرة أصل من أصول الفطرة التي ارتضاها الله عز وجل لحياة الناس منذ فجر الخليقة يقول تعالي : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [1] وتبرز حاجة الإنسان إلي الأسرة في كونها ضرورة يفتقر إليها الإنسان في جميع مراحل حياته فالطفل لابد أن ينشأ في أسرة . وإلا نما مبتور العواطف شاذ السلوك .

وعندما يشب عن طوقه ويغدوا شاباً يافعاً ثم رجلاً ناضجاً يظل أيضاً في حاجة إلي الأسرة يستمد منها صدق العواطف ونبل المشاعر وسمو المعاني الإنسانية النبيلة . وينهل من معينها الفياض . حنانا متدفقاً وحباً بلا حدود .

وقد أدرك الإسلام أهمية دور الأسرة وأثره في بناء المجتمع وسعادته واستقراره . ومن ثم نراه منذ اللحظة الأولي لتكوين الأسرة قد أحاطها بسياج منيع من الأحكام والآداب التي

تحفظ عليها تماسكها وتحقق لها استقرارها وتحميها من عواصف التفكك وعوامل التمزق فرغب في الزواج باعتباره اللبنة الأولى لتكوين الأسرة ووضع له من الضوابط ما يضمن له البقاء في ظل سكن هادئ بين زوجين تظلله المودة والرحمة وإذا كانت العلاقة الزوجية تتعرض أحياناً لما يعكر الصفو . ويبدد الألفة ويمزق وشائج المحبة بين الزوجين . فإن الإسلام قد عالج ما يعتور الحياة الزوجية في اتزان وواقعية ودون ظلم لطرف على حساب الطرف الآخر .

لكن طبيعة النفوس البشرية المتقلبة بين الخير والشر قد تنزع أحياناً إلي أهواء مقيتة أو رغبات محمومة فيختل التوازن مؤذناً بتمزق وشائج الأسرة وتفكك أواصرها .

وثمة حقيقة نؤكد عليها – في بداية هذا البحث – أن ما أصاب المجتمعات الإسلامية من تمزق أسري يرجع إلي انسلاخ الأسرة عن تعاليم الشريعة الإسلامية وعدم إدراكها لمقاصدها وأحكامها التي تتمحور حول قاعدة (جلب المصلحة درأ المفسدة)

والبحث الذي نقدم له يعرض – في وجازة – لأسباب التفكك وأثرها في بروز ظاهرة التشرد ويضع العلاج لتلك الأسباب .

والله أرجو أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

هذا وبالله التوفيق

تمهيد

أهمية الأسرة

تمثل الأسرة لبنة من لبنات المجتمع ودعامة من دعائمه وعضواً من أعضاء جسده إن صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد الجسد أيضاً .

وحينما تتماسك الأسرة داخل المجتمع الواحد يصبح قوياً ومستقراً .

وفي المقابل حينما تتمزق أواصر الأسرة وينهار بنيانها فإن مردود ذلك يعود بالسلب على المجتمع ليصبح ضعيفاً . متهالكاً . تنتابه الانقسامات وتعتريه الصراعات وتتفشى فيه الجرائم.

ومن ثم يفقد كيانه الاجتماعي الإنساني .

من هنا يبرز لنا دور الأسرة دائرة في بناء المجتمع أو هدمه

وقد برزت على الساحة الإسلامية أنماط سلوكية ونظريات تربوية وعادات وتقاليد تلقفتها العقول المسلمة من هنا وهناك فصارت لديهم بمثابة " العرف الاجتماعي " وهو مؤشر خطير ينذر بتلاشي التربية الإسلامية الصحيحة وربما غيابها الكامل عن المجتمعات الإسلامية ولعل ظاهرة التفكك الأسرى هي ثمرة من ثمار الانسلاخ عن التربية الإسلامية والارتماء في أحضان سلوكيات معوجة وأخلاقيات مرذولة ونظريات مستوردة كان الدافع إليها النزق العقلي الطائش والأهواء النفسية المحمومة .. وغياب الوازع الديني من القلوب والضمائر لقد تعرضت الأسرة

المسلمة – عبر مسيرتها التاريخية – لهزات عنيفة وعواصف مدمرة نشأت من داخلها تارة . ووفدت إليها من أعدائها تارة أخري .

وما كان لتلك الهزات والعواصف أن تبقي وتفرض وجودها لو أن المسلمين داوموا على الاستمساك بشريعتهم الإسلامية ولكنها طبائع البشر تتقلب بين الخير والشر .

وهذا البحث الذي نمهد له يلقي الضوء على ظاهرة التفكك الأسري ويبرز أهم أسبابها ويحاول وضع العلاج المناسب لكل منها وسنذكر – فما يلي – أسباب التفكك الأسري مع التركيز على بروز ظاهرة التشرد كنتيجة من النتائج السيئة للتفكك الأسري .

وقد قسمت البحث إلي مباحث رئيسية تضمنت أسباب التفكك الأسري وجاءت على النحو التالي :

المبحث الأول:ضعف الوازع الديني وأثره في التفكك الأسري

المبحث الثاني : الجهل بأساليب التربية الصحيحة .

المبحث الثالث : المشكلات الأسرية .

المبحث الرابع : الانحرافات الأسرية .

المبحث الخامس : أجهزة الإعلام .

المبحث السادس : ظاهرة التشرد بين الداء والدواء .

أسباب التفكك الأسري

المبحث الأول

ضعف الوازع الديني

يمثل الدين قوام الحياة الإنسانية . فهو الذي يربط الإنسان بخالقه عز وجل وهو القاسم المشترك في أموره الحياتية كلها . يهديه إلي الخير وينأي به عن مزالق الشر ينير له الطرق الحالكة ويوقظ ضميره من سباته ويدفعه إلي الغايات الكبار والمثل العليا والأخلاق القويمة وهو الحصن المنيع الذي يحمي الأسرة من غوائل التفكك وعوامل التمزق

وحينما يضعف الوازع الديني تتخبط العقول في متاهات الحيرة والضلال وتستسلم النفوس لرغباتها المحمومة وشهواتها الجامحة . ومن ثم تبرز لنا أهمية الدين في تماسك الأسرة ومدي تأثيره في استقرارها وسعادتها . والحقيقة التي لا شك فيها أن غياب الدين عن الأسرة منهجاً وتطبيقاً يعرضها للانهيار والتفسخ ويدفعها إلي ممارسة الانحرافات البغيضة والسلوكيات المرزولة وارتكاب الجرائم وممارسة الموبقات .

وتؤكد الدراسات الاجتماعية " أن كافة الأطفال الجانحين غير متدينين فالدين يدعم مقاومة الفرد لبواعث الجريمة وكثيراً ما يعزي انتشار الظاهرة الإجرامية إلي ضعف تأثير الدين على أخلاقيات الفرد [٢] .

" فالدين يضبط العلاقة بين تكوين الشخصية والسلوك الاجتماعي ويؤثر في ضبط النفس وتكوين الحاسة الأخلاقية للإنسان (٣) .

ونضيف إلي ما سبق ما أكدته الدراسات النفسية من أن معظم الأطفال الجانحين اللذين ينحدرون من أسر غير متدينة لا يحبون أبائهم ويتمنون لو كانوا أبناءً لأسر أخرى كما أنهم يشعرون بالإحباط واليأس والضياع ويرجع ذلك إلي عدم اكتراث الجانحين بسلوكهم نتيجة افتقادهم للوعي الديني مما حدا بهم إلي الجنوح والتشرد " (٤) .

من هنا تبرز لنا العلاقة بين ضعف الوازع الديني ومدي تأثيره في التفكك الأسري باعتباره من أهم أسبابها :

١ – عدم اضطلاع – راعي الأسرة – بالمسئولية عن زوجته وأولاده وذلك بتنمية الوازع الديني في نفوسهم وتنشأتهم على حب الدين وتطبيق مبادئه وأحكامه وآدابه يقول (ﷺ) " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " .

٢ – تفعيل مبدأي الثواب والعقاب مع أفراد الأسرة دون تهاون مع ضرورة المراقبة والتوجيه والمتابعة .

٣ – على الأم – وهي الأقرب نفسياً لأولادها – التخلق بأخلاق الإسلام أمام أولادها وأن تغرس في نفوسهم محامد الصفات وفضائل الأخلاق .

٤ – على الوالدين معاً أن يكونا قدوة صالحة لأبنائهم في التمسك بالدين وتطبيق مبادئه وأخلاقه فالطفل يتأثر بالقدوة أكثر من تأثره بالتوجيه والموعظة .

٥ – على الوالدين مراعاة عقول الأبناء ومدة استيعابهم للمواعظ والإرشادات الدينية . وخير وسيلة لذلك هي تبسيط مبادئ الدين بأسلوب سهل ميسر يناسب عقلية الطفل ويتدرج معها من طور إلي آخر وعليها أيضاً الابتعاد عن الخوض مع الأطفال في خلافات مذهبية أو آراء عقدية . فهذا من شأن تشويش عقل الطفل دون جدوى .

٦ – على الوالدين الالتزام بالصبر وضبط النفس والمعالجة الحكيمة حيال تقصير الأبناء عن بعض جوانب الدين كالصلاة مثلاً يقول تعالي : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (٥) .

فالتشديد مع الأبناء له مردود عكسي واثار وخيمة من أبرزها العناد النفسي وعدم الاستجابة والتمرد .

فإن أجبر الطفل على الصلاة مثلاً كان أداؤه شكليا ونابعاً عن خوف . وهذا ما نرفضه فالدين لا يمكن تطبيقه إلا بالتدرج وعن قناعة خاصة بين الأطفال والمراهقين .

ولا يعني هذا التساهل مع الأولاد في أمور الدين . كلا . وإنما المقصود هو التعامل بالحكمة معهم حتى يتشربوا حب الدين ومن ثم يطبقون عن قناعة ومحبة .

المبحث الثاني

الجهل بأساليب التربية الصحيحة

تلعب التربية دوراً أساسياً في سلوك الطفل والتأثير على تكوينه النفسي والاجتماعي .

والتربية صناعة تحتاج إلي معرفة ودربة ولطف فهي كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلي سياسة ولطف حتى يرتاض ويقبل التعليم والتوجيه [٦] .

ولكي تحقق التربية ثمارها المرجوة في تنشئة الأطفال والمراهقين على السواء يتحتم على الآباء الإحاطة بأساليب التربية الصحيحة والتعرف على السلبيات في تطبيقها وممارستها مع الأبناء فالجهل بأساليب التربية يفضي إلي ممارسة أنماط من السلوكيات الضارة بالأبناء ومن الطبيعي أن الآباء لا يتعمدون ذلك – عن قصد – ولكن جهلهم بأساليب التربية الصحيحة يعرض أولادهم للانحراف والضياع . ولا يجدي البكاء على اللبن المسكوب

وسنجمل – في وجازة – بعض الأساليب الخاطئة في التربية خاصة في معاملة الأطفال

أولاً : سوء معاملة الطفل بين القسوة العنيفة والتدليل المفرط

قد يجنح بعض الآباء إلي عقوبة الأبناء بأساليب تخرج تلك العقوبة من حدودها التربوية الملائمة إلي القسوة والغلظة . ظنا منهم أن تلك الأساليب هي الكفيلة بردع الطفل وتقويم سلوكه

وهذه الأساليب تحدث أثراً عكسياً في نفس الطفل فهي تثبت السلوك المعوج وتدعمه بدلاً من تغيره أو إزالته نتيجة للعناد الكامن في نفس الطفل ومن ثم لا يجدي العلاج ويؤكد علماء النفس " إن هناك نمطاً من الآباء تأخذ الصرامة منهم مظاهر مختلفة من الأمر والنهي والمقاومة لرغبات الأطفال وهؤلاء يتصرفون بالقسوة في معاملة الأبناء فأسلوب تربيتهم يقوم على التحكم الزائد والسيطرة . وأحياناً يطلبون من الأبناء القيام بأعمال شاقة يعجزون عن أدائها . وقد جهلوا أن التربية التى تقوم على العنف والصرامة تحرم الطفل من إشباع حاجاته النفسية وتدفعه إلي الخوف والشعور بالنقص والهرب من البيت وممارسة ألوان العنف [٧] .

التدليل المفرط :

وكما تؤدي القسوة إلي حدوث آثار سيئة في نفوس الأطفال يؤدي الإفراط الزائد في تدليل الطفل إلي آثار ضارة أيضاً .

فالطفل المدلل تعوزه الشجاعة اللازمة في حياته ويشعر بالعجز وفقد الثقة بالنفس ويصعب عليه تكوين علاقات ناجحة مع الناس تبدوا عليه مظاهر الإهمال وسوء النظام وتصدر عنه الأخطاء والسلبيات دون مبالاة لها لا يقوي على مواجهة الحياة أو التجاوب مع زملائه في المدرسة .

والحقيقة أن الطفولة بحاجة إلي تربية متوازنة فالقسوة مدمرة والتدليل المفرط مفسد والوسطية هي الميزان الدقيق في

التربية إنها شدة في غير عنف . ولين في غير ضعف ورحمة تعانق حزماً وصرامة تخالط عطفاً وحناناً

ب – الخوف والكبت . وهذان عاملان من عوامل تدمير نفسية الطفل ودفعه إلي العنف والاضطراب " فالخوف يهدد النشاط ويعوق الطاقة الفكرية والبدنية من أن نتيجة انتحاها لصالح ذات الفرد ومجتمعه [٨] .

والكبت يمثل نتيجة من نتائج الخوف المدمرة وهو صراع ينشأ داخل نفس المكبوت التي لا تستطيع الدفاع عن ذاتها أو الحرية في إطلاق ما بداخلها وحينما يشتد الكبت بسبب حالة من التوتر والقلق والاضطراب العقلي تدفع صاحبها إلي الانفجار دون ترتيب أو إمهال ودون انضباط أو تعقل . ومن ثم يندفع المكبوت إلي ممارسة السلوكيات المنحرفة والشاذة إشباعاً لرغبات طالما ظلت حسية النفس وكان الانفجار النهاية المؤلمة لها .

ج – الحرمان العاطفي تؤثر العلاقات العاطفية بين الطفل ووالديه تأثيراً قوياً ينعكس على نفسيته وسلوكه فالطفل في حاجة إلي الإشباع العاطفي من مصدره الأساسي وهما أبويه اللذين يمنحانه هذا الإشباع من خلال غريزة الحب تجاه الأولاد . وهي غريزة أودعها الله عز وجل فيهما .

فإذا انحرف الأبوان بتلك الغريزة الكامنة في نفسيهما فقد الطفل حنان الأبوين المتدفق وافتقد المصدر الرئيسي للإشباع

العاطفي داخل أسرته . وحينما يحدث ذلك يبحث الطفل عن البديل لإشباع تلك العاطفة وغالباً ما يجده خارج البيت مع رفقة السوء التي تحاول جاهدة التغلغل إلي وجدانه ومنحه إشباعاً عاطفياً يجد فيه الطفل ما يسد حاجته يتضح هذا – واقعاً ملموساً – من خلال المتابعة الميدانية لأطفال الشوارع فقد ربطت بينهم مشاعر الاخوة وحرارة العاطفة الجياشة تراهم يتحركون معاً ويتسولون معاً ويمارسون الجرائم معاً أيضاً . وعندما يلفهم ظلام الليل الدامس نشاهدهم أجساداً متراصة وكأنهم نسيج أسرة واحدة

إن الإشباع العاطفي يولد في نفس الطفل مشاعر المحبة لابويه . ومن ثم يستجيب لتوجهاتهما ويتقبل نصائحهما في ظله يشعر الطفل بالطمأنينة والثقة والأمن النفسي وهي عوامل تؤثر سلوك الطفل وتربيته .

د – التفرقة بين الأولاد في المعاملة .

وتأخذ التفرقة بين الأولاد مظاهر عديدة .

منها التفرقة بين ولد يعيش مع زوج أمه ولديه منها أولاد من صلبه وكذلك العكس أيضاً . ومنها أن يكون الولد بطئ الفهم غير متفوق في دراسته مثل إخوانه .

أو ربما لا يحسن التصرف مثل إخوانه . الأسباب كثيرة لكنها في نهاية المطاف من الأساليب التربوية المعوجة والتي تثمر كراهية الولد لأخواته . زوج أمه أو زوجة أبيه والحقد عليهم إشعال نيران الغيرة في قلبه .

ولا يقتصر الأمر على مجرد كراهية الطفل لمن حوله بل يتعداه إلي العصيان والتمرد وغالبا ما يكون الهروب من البيت نهاية لتلك التفرقة المرذولة .

هـ – فشل الأبوين في معالجة شذوذ الأطفال .

تتعدد أنماط الشذوذ عند الأطفال فهناك الطفل العدواني بطبيعته . وهناك الطفل المتعسر وهناك أيضاً الطفل الذي يميل إلي الانحراف حتى وإن ضمته أسرة سوية .

هذه الأنماط الشاذة تمثل أعباءً ثقيلة يحملها الآباء على كاهلهم وتتطلب منهم قدرات كثيرة ومهارات خاصة في المواجهة والمتابعة وصولاً إلي العلاج . فالطفل المتعسر كما يري علماء التربية .

" يعجز عن الإفصاح عما بداخله بطرق مباشرة وهو متبلد الشعور يشعر دائما بالقلق والاضطراب ويميل إلي العنف أحيانـــاً " (٩) .

أما الطفل العدواني فهو الذي قد حققت له الأسرة كل متطلباته ومنحته الحرية بيد أنها لم تمنحه الوقت الكافي للتعرف على نزعته العدوانية ومحاولة علاجها .

والآباء حيال هذين النمطين لا يحسنون العلاج الناجح . بل إنهم على العكس من ذلك يتخذون السلبية وسيلة للهروب من المشكلة . أو العنف والقسوة والغلظة مع هذين النمطين وهذا

بدوره يؤدي إلي هروب الطفل المتعسر . وكذلك الطفل العدواني . لكن الثاني سيجد مع رفقاء السوء ما ينمي ميوله العدوانية ومن ثم يغدوا منحرفاً . ميالاً إلي العنف المتأصل في نفسه .

غياب القدوة .

تمثل القدوة عاملاً أساسياً في تربية الطفل وهي أقوى أثراً من التوجيهات والأوامر الأبوية . إنها الكتاب المفتوح الذي يقرأ فيه الطفل أخلاق أبويه وسلوكها العملي داخل البيت ذلك لأن الطفل مطبوع على التقليد ومحاكاة الغير في تصرفاته . والأبوان هما المصدر للقدوة حسنة كانت أو سيئة وإذا شب الطفل في أحضان أسرة قويمة الخلق ملتزمة بالقيم والآداب قولاً وعملاً . فإن مردود ذلك سيعود عليه وعلى أسرته بالخير في مستقبل الحياة ولكن " قد يولد الطفل فيسخر له القدر أبوين سيئين في خلقهما وسلوكهما فيجد الطفل نفسه أمام قدوة سيئة . لا شك أنه سيتأثر بها وينهل من معينها لسلوكه وأخلاقه دون ذنب اقترفه سوي أن أبويه هكذا .

هذا النمط من الأطفال يئول مصيره إلي الانحراف ويري علماء النفس " أن مفتاح الشذوذ في الأطفال لا يزال في يد الآباء وأن الأطفال المنكوبين بآباء سيئين يصبحون مشكلة لأنفسهم ولمجتمعهم يستعصي عليهم حلها " (١٠) .

ونخلص من هذا بنتيجة هي أن الجهل بأساليب التربية يؤثر بطريق مباشرة على سلوك الأطفال وجنوحهم وهو سبب من أسباب التفكك الاجتماعي .

المعالجة

أولى علماء التربية الإسلامية اهتمامهم بأساليب تربية الطفل ولهم في هذا الميدان مؤلفات عديدة وخلاصة ما ذهبوا إليه . هو أن الآباء مسئولون أمام الله عز وجل وأمام ضمائرهم وأمام المجتمع بأسره عن تربية أولادهم وأن الجهل بأساليب التربية الصحيحة لا يعفيهم عن تلك المسئولية فالجاهل عليه أن يتعلم ويسأل . ويمارس بالتجربة تلو الأخرى ويترقب ردود الفعل مع أولاده حينما يخطئ معهم في عفوية غليظة أو تدليل مفرط أو تفرقة مقيتة بينهم يقول الرسول (ﷺ) " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن " .

أما عن أهم الأساليب التي ينبغي على الوالدين مراعاتها في تربية أولادهم فهي كما يلي :

١ – الرحمة بالأولاد وتقويمهم باللين والرفق فالإسلام يكره الجفاء وينبذ الغلظة والقسوة ويطلب من الآباء الحنو على أولادهم ومعاملتهم بالرحمة والشفقة ولعل في حديث الرسول ﷺ للأعرابي الذي أصابته الدهشة حين عرف أن الرسول ﷺ وأصحابه يقبلون أبنائهم .

" أو أملك إن كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة " لعل فيه ما يشير إلي ضرورة الرحمة والعطف في تربية الأطفال .

٢ – يحارب الإسلام نزعة التفرقة بين الأبناء لما فيها من إشعال نيران الكراهية بينهم وإحساس بعضهم بالظلم مما يزرع الأحقاد تجاه بقية الاخوة يقول (ﷺ) : " اعدلوا بين أولادكم بالسوية "

٣ – يهدف الإسلام من تربية الطفل إلى إعداده ليكون رجلاً صامداً يتحمل أعباء الحياة ويستعذب مصاعبها ومن ثم نهي الآباء عن التدليل المفرط والميوعة الخائرة التى لا تنهض بالرجولة .

٤ – يؤكد الإسلام على القدوة الصالحة وما لها من أثر في التربية يفوق أثر التوجيه والنصح ولن تثمر التربية في ظل غياب القدوة الصالحة .

المبحث الثالث

المشكلات الأسرية

المشكلة الأولى : الخلافات الزوجية :

تهدد الخلافات الزوجية حياة الأسرة وتنذر بعواقب وخيمة لا يجد الزوجان حيالها سوي طريقين لا ثالث لهما .

فإما أن يرضخا للأمر الواقع ويسلما نفسيهما لتكرار تلك الخلافات دون اكتراث لآثارها ومن ثم تصبح عادة مألوفة في نطاق الأسرة تؤثر سلباً على تربية الأبناء .

والخلافات الزوجية منها ما هو عابر يمر سريعاً دون أثر يعكر الصفو ويمزق وشائج المحبة . ومنها ما هو كامن في الزوج أو الزوجة ومن أبرز دوافعه العناد . والكراهية وتباين الطباع وافتقاد العواطف . الأسباب كثيرة .

هذا النوع من الخلافات يستعر أواره حينا وتهدأ عاصفته حيناً آخر بالغة الزوجين ويصبح لديهما أمراً مألوفاً يتقبلانه على مضض .

ولا يعنينا الحديث عن تلك المشكلات ما نهدف إليه هو أن الخلافات الزوجية لها مردودها السلبي على نفس الأطفال ولها أيضاً آثارها على سلوكهم فالتوتر العائلي يصيب الطفل بعقد نفسية تؤرقه وتهز أعماق نفسه فالأجواء الأسرية مضطربة والهدوء غير متاح وإشباع عاطفة الطفل ومنحه الحنان والعطف أمور لا يمكن تفعيلها في ظل تلك الخلافات المستعرة بين الأبوين

ماذا يفعل الطفل إذن ولا حيلة له فيما يحدث هل يقبع في البيت وقد تملكه الخوف وسيطر عليه القلق أم يلجأ إلي الشارع لينفس عن الكبت الضاغط على نفسه مع رفقاء السوء الوسيلة الثانية غالباً ما ينتهجها الطفل أو المراهق تخلصاً من الخلافات بين الأبوين " وقد سجلت الإحصائيات أخيراً أن الخلافات الزوجية أضر على الأطفال من زوجة الأب وأثبتت أن ٩٠ % من نزلاء الاصلاحيات الخاصة بالجانحين جائت نتيجة للشجار الدائم بين الزوجين ثم الطلاق (١١).

المشكلة الثانية : الطلاق :

من أبرز الأسباب التي تؤثر في تمزق أواصر الأسرة تشرذمها الطلاق .

والطلاق هو فصم الرباط الذي جمع بين الزوجين في إطار زواج شرعي على سنة الله ورسوله وهو أبغض الحلال عند الله تعالي وقد شرعه الله عز وجل ليكون النهاية لحياة زوجية اشتدت بها العواطف ودبت بينها الخلافات وعجز المصلحون عن رأب الصدع وتحقيق الوفاق بين الزوجين

" والطلاق يمثل مشكلة لدي أولئك اللذين انسلخوا من تعاليم الدين فاصبح الطلاق عندهم أداة للفرقة ووسيلة للانتصار غير عابئين بما للطلاق من ضوابط وأحكام وآداب تكفل جميعها للأسرة الاستقرار عندما يدرك الطرفان المسئولية ويراجع الزوج زوجته في الطلقة الأولي والثانية وحينما يستحيل دوام العشرة ويصبح الطلاق بين الزوجين لا مفر منه وتحدث الفرقة من

الزوجين فإن هناك من الحقوق والواجبات المنوطة بالزوج تجاه مطلقته وأولاده تكفل لهم الحياة الكريمة وتحفظهم من غوائلها وتقلباتها وقد وصف الطلاق بأبغض الحلال عند الله لما يترتب عليه من آثار تهدد كيان الأسرة وتزعزع استقرارها فالطلاق داء ودواء .

ما يعنينا في نطاق البحث الآثار الناجمة عنه ومدي صلتها بالتفكك الأسري .

وقد سبق أن ذكرنا أن ٩٠ % من الأطفال الجانحين كان الطلاق سبباً في جنوحهم .

" وقد أوضح بحث بعنوان السرقة عند الأطفال ارتفاع حالات طلاق الوالدين بين الجانحين والأحداث " (١١) .

ويرجع ذلك إلي أن الأم المطلقة حينما تتزوج بآخر ومعها أولاد من الزوج الأول يضيق الزوج الثاني بأولادها ويحاول جاهداً التخلص منهم إما بمعاملة قاسية بدفعهم إلي الشارع حيث التشرد والضياع . وإما بإجبارهم على ذلك بداية . وكذلك الحال حينما يتزوج الرجل بأخرى غير زوجته – بعد طلاقها – فأول شيء تفعله زوجة الأب هو التحرش بأولاده ومعاملتهم بقسوة وفظاظة تدفعهم – لا محالة – إلي الهروب من البيت .

ومن الفظاظة والقسوة ما تطالعنا به الصحف من حوادث يومية تؤكد أن الأب قد يتضامن مع زوجته الجديدة في التخلص من أولاده تجنباً للخلافات بينهما وهي صورة بشعة تنأى عنها الفطرة السليمة .

المعالجة

١ – وضع الإسلام دعائم لحماية الأسرة وإقامة الحياة الزوجية القائمة على المودة والرحمة بيد أنه لم يفترض أن تسود بينهما المثالية فمن شأن البشر أن يعرض بينهم الخلاف ويثور النزاع عند تباين الرغبات واختلاف الطبائع وفي حالة نشوز الزوجة وعصيا نها لزوجها وعدم طاعته . حدد الإسلام العلاج فأمر الرجل أن يبحث مع زوجته عن أسباب نشوزها وأن يعالجها بحكمة وتعقل وأناة وان يعظها بالحسني ، فإن لم يثمر الوعظ معها اتجه إلي هجرها في المضجع فإن لم يجد الهجر نفعاً استخدم وسيلة الضرب غير المبرح علها تصلح من شأن الزوجة فتعود إلي رشدها وكذلك الحال بالنسبة للزوج حينما تبدوا معه الكراهية لزوجها فتري منه اعوجاجا في السلوك فعليها إذن أن تحاول استجلاء أمره وأن تتسلل إلي مداخل نفسه علها تصلح منها ما اعوج ولكن إذا حدث الشقاق واستحكم الخلاف وفشل الحكمان في الصراع . فإن الطلاق هو النهاية الأليمة لتلك الحياة النافرة .

٢ – بيد أن الإسلام لم يجعل الطلاق أداة في يد الرجل يعبث بها حينما شاء ولكن شرعه ليكون نهاية المطاف بين الزوجين المتنافرين فآخر الدواء الكي.

٣ – لم يغلق الإسلام بالطلاق أبواب العودة بين الزوجين يقول تعالي:﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾.

وهي فرصة سانحة للمراجعة والترتيب والتريث والندم والتفكر في مصير الحياة والأولاد فهناك الطلقة الأولى تعقبها الثانية وعلى الزوجين أن يختارا الفرقة بالثالثة أو الاستقرار معاً بعد نفاذ الطلقتين .

٤ – لا يعني الطلاق نهاية للعلاقات الأسرية ولا يعني أيضاً تصدعاً للأسرة أو تفككاً لأوامرها فللمطلقة على زوجها النفقة والمسكن ونفقة الأولاد وعلى الرجل رعاية أولاده وتربيتهم ومراقبة سلوكهم وكذلك الأم أيضاً حتى لا يكون الأولاد ضحية لهذا الطلاق .

٥ – إذا كان الطلاق يمثل انفصالا للعشرة بين الزوجين فإن الإسلام يرفض أن يكون وسيلة لانفصال الآباء عن الأبناء وتركهم يتجرعون المرارة في الشوارع – فالأم والأب يتحملان المسئولية عن تربية الأولاد وتهذيبهم – بعد الطلاق أيضاً وإلا كان الطلاق سبباً من أسباب التفكك الأسري . وهذا ما نراه – واقعاً أليماً في عالمنا المعاصر فجميع المشكلات الناجمة عن الطلاق هي من جراء إهمال الآباء للأبناء .

٦ – وأخيراً على الزوج أن يحسن معاملة زوجته وان يصبر على أذاها وأن يعالج نشوزها بحكمة وروية وأن يدرك جيداً قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٢) .

وكما يقول (ﷺ) إن كرهت فيها شيئا أعجبك فيها أشياء ولا شك أن المعاملة الزوجية في إطار المودة والرحمة والمحبة المتبادلة تثمر حياة أسرية مستقرة " .

المشكلة الثالثة : البطالة والفقر :

تمثل ظاهرة البطالة مظهراً من المظاهر السيئة في المجتمع ودليلاً على سوء التردي فيه والبطالة تهدد كيان الأسرة وتؤثر في سلوكها وقد انتشرت ظاهرة البطالة نتيجة للأزمات الاقتصادية والصناعية والكساد الذي ساد بعض المجتمعات في العالم الثالث كما يسمونه ومن آثار البطالة الفقر فالرجل الذي لا يجد عملاً لا يملك بالتالي المال الذي ينفقه على أسرته .

ومن آثار البطالة المدمرة أنها تؤدي إلي فساد الخلق واليأس والتفكك الاجتماعي وإدمان المخدرات والمسكرات إذ يتوهم العاطل عن العمل إنها تنسيه بؤسه وشقاءه فيهرب من واقع الحياة المؤلم إلي الأوهام الكاذبة كما تؤدي البطالة أيضاً إلي انتشار الجريمة فالذي لا يعمل يحاول الحصول على حاجاته المادية بأية وسيلة ولو كانت ممارسة الجريمة ومن آثار تلك الظاهرة أن المتعطل عن العمل يدفع أولاده الصغار وزوجته إلي العمل في مهن حقيرة وبأجور رخيصة ويترتب على ذلك الانحلال الخلقي .

والبطالة تفقد رب الأسرة هيمنته عليها وبالتالي تفتقر الأسرة إلي من يملك زمام أمورها . ومن ثم ينفرط عقدها فالأولاد في الشوارع يعملون أو يتسولون والأم تنتقل بين البيوت

علها تجد عملاً يقتات منه أولادها أما رب الأسرة المتعطل فغالباً ما يجرفه تيار الانحراف فالغاية عنده تبرر الوسيلة .

ويؤكد علماء الجريمة " أن البطالة هي النتيجة الحتمية لاختلال التوازن الأسري وهو أمـــر يؤدي إلي اقتراف الجـــريمة"(١٣) .

ويأتى الفقر باعتباره هو الآخر معوقاً من معوقات الاستقرار الأسري ولا يختلف الفقر عن البطالة في علاقة كل منهما بالجريمة وفي كونهما من أسباب التفكك الأسري بيد أن الفقر قد يكون مقبولاً عندما يتحقق للأسرة الحد الأدنى من متطلباتها الحياتية ويقنع أفرادها بحد الكفاف . وهذا نادر الحدوث في عصرنا الحاضر .

أما حين يعتري الأسرة الفقر المدقع فإنها بالضرورة تتجه إلي الشوارع باحثة عما يسد رمقها هنا تتجسد مشكلة الفقر وتظهر آثاره السيئة على الأسرة فتتمزق وشائحها ويتفكك بنيانها وليت الأمر يقتصر عند ذلك الحد بل يتعداه إلي مشاكل اجتماعية أخري مثل التسول والسرقة وارتكاب الجرائم الأخلاقية ناهيك عن تفشي الأمراض في المجتمع والفشل في التعليم والتشرد في الشوارع وقد أكدت الدراسات الاجتماعية والجنائية أن هناك علاقة وثيقة بين الفقر والجريمة (١٤).

وقد ثبت من خلال البحوث الميدانية إن نسبة ٥٦ % من الأحداث الجانحين ينتمون إلي بيئات اقتصادية سيئة ينتشر فيها الفقر وتتفشى فيها ظاهرة البطالة " (١٥) .

وانتهت دراسات أخرى إلي أن الفقر والبطالة هما العاملان الأساسيان في إحداث السلوك الإجرامي " (١٦) .

المعالجة

١ – عالج الإسلام مشكلة البطالة والفقر فحث على العمل وحذر من التهاون فيه : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (١٧) .

٢ – أوجب الإسلام الزكاة على القادرين وجعل الفقراء في طليعة مصارفها ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** ﴾ (١٨) .

وإلي جانب الزكاة المفروضة رغب الإسلام في الصدقات وبين جزائها في آيات وأحاديث كثيرة .

٣ – وإلي جانب حرص الإسلام على إقامة التوازن بين أفراد المجتمع وهو " التكافل الاجتماعي " ففي ظله يقف الأغنياء إلي جانب الفقراء بالعون والمساعدة وتخفيف الام الفقر عنهم بل وتبديد شبحه المخيف . فالمجتمع كله مسئول عن تفشى ظاهرة الفقر يقول (ﷺ) : " إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما بينهم فاقتسموه بينهم بالسوية فهم مني وأنا منهم "

٤ – على القائمين على شئون المجتمع تقع مسئولية انتشار البطالة وتفشى الفقر بين أفراد المجتمع والأمر يتطلب محاربة البطالة وذلك بتوفير فرص العمل والتخطيط الجيد لاستيعاب العمالة العاطلة واستغلال طاقاتها المهدرة في الزراعة والصناعة والأعمال الأخرى التي تبدد شبح البطالة وتنأي بالمجتمع عن غوائل الفقر وأدوائه .

٥ – حينما يختل التوازن في المجتمع وينسلخ الأغنياء عن مساعدة الفقراء ينشأ الصراع الطبقي وتتفشى الجرائم ويصبح المجتمع عرضة للتفكك والانهيار .

المشكلة الرابعة : إهمال الآباء في تربية الأبناء

الأسرة هي المصدر الأول للتربية . والتوجيه وغرس الفضائل وإرساء المثل العليا في نفوس أفرادها والأسرة أب وأم وأولاد

أما الأب فهو المسئول عن أفراد أسرته بالتربية والرعاية وتوفير المتطلبات الحياتية ومتابعة الأولاد والتعرف على مشكلاتهم وإيجاد الحلول لها إنه رئيس الأسرة والمسئول عن كل تصرفاتها .

أما الأم فهي الحاضنة والمربية وهي مصدر للحنان والعطف على الأولاد . ترعي شئون البيت ومتطلباته وتراقب عن كثب أولادها وهكذا يتعاون الرجل والمرأة على تحمل المسئوليات المشتركة فيما بينها في ظل استقرار عائلي هادئ في

هذا الجو الأسري المفحم بالطمأنينة يجد الطفل ما يشبع حاجاته العاطفية والمادية ويجد أيضاً ما ينمي سلوكه . ويهذب أخلاقه ويأخذ بيده إلي طريق الخير . فقد تعهده الأبوان بالتربية الصحيحة والمراقبة وتصحيح الأخطاء ومتابعة الحياة اليومية داخل المنزل وخارجه . تلك هي الصورة المشرقة للأسرة السوية التي ننشدها .

لكن بعض الأسر قد تخلت عن مسئولياتها حيال أبنائها لأسباب كثيرة أهمها طغيان المادة والوفاء بمتطلبات الحياة وربما السعي إلي جمع المال بغية الثراء . الأسباب كثيرة .

ما يعنينا هو بيان الأسباب التي تؤثر في التربية تأثيراً سلبياً وينعدم في ظلها الشعور بالمسئولية . ولعل من أبرزها : عمل المرأة وما يتبعه من وجود مربية ترعي الأولاد ومنها أيضاً عدم متابعة الآباء لأبنائهم خارج البيت وما ينتج عنه من فراغ يحاول الطفل استغلاله ولن يجد بالطبع سوي رفاق السوء . ومنها أيضاً قطع الجسور بين البيت والمدرسة وهي أسباب لها آثارها السلبية على تفكك الأسرة بل وانهيارها الاجتماعي والسلوكي ونبدأ بعمل المرأة .

عمل المرأة :

إن عمل المرأة خارج المنزل يمثل سبباً من أسباب الخلافات الزوجية . وعاملاً قوياً من عوامل التخلي عن تربية الأولاد فالأم العاملة يأخذ منها العمل أوقاتا طويلة تعود بعده إلي

البيت منهكة القوي فتستريح من عناء اليوم الطويل . ثم تحاول جاهدة الوفاء بمتطلبات الأسرة والزوج . أما الأولاد فقد جلبت لهم مربية ترعي شئونهم في غيابها عن البيت بل وفي وجودها أيضاً هنا يرتبط الطفل بالمربية ارتباطاً وثيقاً فقد أصبحت له بمثابة الأم البديلة تلبي له حاجاته وفق الأوامر التي تتلقاها من الأم والتي لا يعنيها سوي راحة أولادها مع المربية وعدم الشكوى منها وتتمثل الخطورة هنا فيما يلي :

١ – أن المربية لا يمكنها بحال أن تؤدي وظيفة الأم في التربية والتوجيه والتهذيب فوظيفتها الأساسية هي تلبية مطالبهم وتنفيذ أوامرهم .

٢ – أن المربية لا تستطيع إشباع الطفل بالعطف والحنان الوجداني بدلاً عن الأم فهي مصدره الوحيد بحكم الغريزة التي أودعها الله عز وجل في قلبها تجاه أولادها .

٣ – إن المربية لا يمكنها تقويم سلوك الطفل وغرس المبادئ الخلقية في نفسه فهي فقط أداة للرعاية من ملبس ومآكل وخدمات أخري .

٤ – إن المربية تنقل إلي الطفل الكثير من عاداتها وسلوكياتها خاصة إذا كان في اختيارها تباين في العقيدة واختلاف في المشارب والأخلاق .

ولا يقتصر دور المربية عند الطفل بل قد يتعداه إلي ما هو أشد شناعة وجرماً كأن يختلي الزوج بالمربية أثناء غياب زوجته

. وقد يفعل ذلك الولد المراهق مع المربية ولا يعني تلك المربية الآثار الناجمة عن هذا السلوك البغيض . ما يهمها هو جلب المال بأية وسيلة فكم من بيوت خربت وكم من علاقات زوجية تمزقت بسبب وجود المربية داخل البيت خاصة إذا اختلفت مع الأسرة في الدين والخلق وقد اثبت علماء التربية " أن ارتفاع معدلات جنوح الأحداث وجرائم الشباب يرجع إلي عمل الأم وعدم اهتمامها ببيتها وزوجها وأولادها " (١٧)

وتأتي إلي الفراغ : وهو الوقت الزائد عن العمل اليومي أو ممارسة التعليم وإذا ترك الطفل أو المراهق فريسة لهذا الفراغ فإنه سيدمره لا محالة .

من هنا تكمن الخطورة في استغلال أوقات الفراغ للطفل والمراهق على حد سواء .

أما الطفل فقد عاد من المدرسة ليجد أبويه خارج البيت فماذا يفعل ؟ هل يقضي فراغه مع المربية ؟ أم يخرج من البيت باحثاً عن رفقائه ؟ وقد يكون فيهم من يفسد أخلاقه .

لكن الأمر يزداد خطورة مع المراهق ذلك الذي يعيش في مرحلة حرجة تتطلب التوجيه والمراقبة فإما أن يستغل فراغه فيما يفيده وإما أن يسيء استغلاله فينزلق إلي أماكن اللهو والنوادي الليلية وتجمعات الرفقة من الأقران لمشاهدة أفلام الجنس والجريمة وغيرها مما أصبح يشكل في عصرنا الحاضر سلوك الشباب ويدفع بهم إلي الانحراف الخلقي .